

تُحَفُّهُ الْمَأْتُورُ مِنْ كُنُوزِ أَرْضِ التُّكْرُورِ

إعداد:

محمد عثمان علي

قسم اللغة العربية جامعة عمان بن فودي صكنو

- سِخْ يَا قَرِيضُ بِنَا فِي سَاحَةِ الدَّهْرِ * أَوْ نَجْتَلِي تُحَفَّ التَّدْكَارِ وَالْعِبْرِ
وَأَفْرِزْ عَلَى جُدْرِ الْأَزْمَانِ سِرْقَ قَصَصًا * فِي عَالَمِ الْأَمْسِ فَأُتِ الْيَوْمَ بِالْخَبْرِ
جِيءَ بِالْقَوَافِي تُغَيِّمُهَا لِعَالَمِنَا * مُرْتَمًا مِثْلَ الشَّجَرِ فِي السَّحْرِ
أَفْصِحْ وَعَرِّفْ بِنِي التُّكْرُورِ مَعْدِنَهَا * وَمَا حَوَتْ أَرْضُهَا السَّمْرَاءُ مِنْ دُرِّ
وَأَقْصُصْ عَلَى عَالَمِ الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ * وَالْكَوْنِ مَا أَنْجَبَتْ فِي دَابِرِ الدَّهْرِ
بِالْأَمْسِ مِنْ رَحْمِهَا نَجْلَانِ قَدْ طَلَعَا * لَوْلَاهُمَا ظَلَّتِ الظُّلُمَاتُ فِي القُطْرِ
فَرْدَانِ كَالْمَرْقَدَيْنِ فِي هُدَى الْأُمَمِ * لَوْلَاهُمَا ضَلَّ مَنْ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
عُثْمَانُ فَوْدِي، عَبْدُ اللَّهِ غُونْدُ هُمَا * أَسَا حَضَارَتَنَا أَسَا عَلَى الْعَفْرِ لَوْلَاهُمَا هَكَذَا
تَارِيخُ أُمَّتِنَا هَذَا صَنِيعُهُمَا * التَّارِيخُ لَمَّ بِصِرِّ
لَوْلَا جِهَادُهُمَا مَا نَحْنُ نَحْنُ وَلَا * نَدْرِي هُوِيَّتِنَا فِي عَالَمِ الْبَشْرِ
وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْبُلْدَانُ قَدْ عَرَفَتْ * نُورَ الْهُدَى وَصَحِيحَ الدِّينِ مِنْ كُفْرِ
وَلَمْ تَكُنْ صُكَّتُوا بِالنَّاسِ عَامِرَةً * بَلْ قَدْ تَكُونُ عَرِيْنُ الدَّئِبِ وَالنَّمْرِ
لِلَّهِ دَرْهَمًا! فِي القُطْرِ قَدْ صَنَعَا * بِالْقَاطِنِينَ صَنِيعَ القُطْرِ بِالشَّجْرِ
سِرْ يَا قَرِيضُ بِنَا تَسْيَارَ رَاوِيَةٍ * لِلتَّوْفِيقِ فَاعْتَزِمِ التَّزْحَالَ وَأَنْشَمِرِ
مِنْ فُوتِ تُوْرٍ بِشَطِّ الْغَرْبِ لِلْوَطَنِ * شَرِقْ تَجَاهَ بِلَادِ الْهُوسَا وَاسْتَقْرِ
أَبْجَزْ بِنَا فِي مَحِيطِ القُطْرِ نَحْوَ طِغْلِ * وَامْرُزْ بِهَا وَبِسِيْقَاوَا وَلَا تَقْرِ
صُكُّوتُ، غُونْدُ هُمَا مَرْسِي سَفِينَتِنَا * تَرْسَانَتَا الدُّرِّ وَالْمَرْجَانِ فِي القُطْرِ
شُدَّ الْجَزَامَ وَشَمَّرَ بِاتِّجَاهِهِمَا * فِي رِحْلَةِ بَحْرَامِ السُّودِ وَالسُّمْرِ
تَخَطَّ سُوْجَ سُجُونٍ سَمِيَّتْ دَوْلًا * وَسُرَّ حُدُودَ حَايِدٍ حَوْلَهَا وَسِرِّ

جاوِزُ طُقُوسٍ مَراسِيمِ المُرُورِ بِها * بِلا جِوازٍ ولا تَأشِيرَةِ السَّقَرِ
 أَصْعَدُ وَسِرٌّ فِي عَنانِ الأُفُقِ مُنْطَلِقا * لَوِإِنْ لَمَسَتْ تُخُومَ الجِوِّ لا تَنْدِرِ
 واصلِ مَسِيرَكَ بَيْنَ البُرُجِ وَالفَلَكِ * حَتَّى تُعَيسَ عِنْدَ الشَّمسِ وَالقَمَرِ
 لا تَمُضِ؛ أَلِقِ عَصاَ التَّسْيَارِ عِنْدَهُما أَتَجِفُّ * وَابْسُطْ قِوافِيكَ فَأُتِ الجِيلَ بِالصُّورِ لَدُنْ
 طوائِفَ جِيلِ اليَومِ وَالغَدِ مِنْ * هِناكَ عَنِ التَّجَمُّعِينِ بِالسَّيْرِ
 * * * * *
 يا شِعْرُ لِحْنِ بِمُوسِيقاكِ وَازِوِ لِنِنا * عَنِ رائِدِ القُطْرِ ما ذا كانَ مِنْ خَبيرِ
 عِثْمانُ فُودِي بِناني مَجِدِ أُمَّتِنا * لولاهِ عِشْنا مِجاهِلا بِلا أَثَرِ
 مَنْ جاءَ كالفِجْرِ وَالاقْطارِ فِي غَسَقِ * مِنَ الضَّلالِ يَهيمُ النَّاسِ كالبِقرِ
 ليلَ الجِبالِ أَرخى بِالسُّدُولِ عَلى * كَلِّ الِورى أَهلِ الأَمصارِ وَالوَبِرِ
 وَالِدِينِ يَشكو خِرافاتِ بِهِ امْتَزَجَتْ * تَجْتاحُهِ تَلِيسُ المَعروفِ بِالنُّكْرِ
 وَالظُّلَمِ مَشْتَعِلٌ فِي الأَرْضِ مُلْتَهَمٌ * لِيابِساتِ مِنَ الأَشِياءِ وَالخُضَرِ
 فِي غَيْبِ هَكَذا وَالحالِ ذا فَإِذا * نُورِ الرِّمانِ ابْنُ فُودِي لَاحَ لِلبِشَرِ
 كَالشَّمسِ أَشْرَقَ فِي البِلدانِ فانقَشَعَتْ * عَنِ الِورى ظَلَماتُ الوَهْمِ وَالغِرَرِ
 أَتى مُغيثا إِلى الأَجِيالِ يُنقِذُها * غَريقَةً فِي خِضَمِّ الغَيِّ وَالسُّعَرِ
 فَعَلِمَ النَّاسِ دِينَ الحَقِّ فاندَحَرَتْ * عِوائِدُ الشَّرِكِ عَنهُمِ شَرٌّ مَنَدَحِرِ
 نادى إِلى العَدلِ وَالإِحسانِ مُنتَبِراً عِثْمانُ مَنْ * واسْتَنقَرَ البِغِيَّ وَالفَحْشاءَ بِالزَّجَرِ
 عُوفِي الإِسْلامُ فِي يَدِهِ * مِنْ بَعْدِ ما كانَ جُثمَانا كَمَحْتَضِرِ
 جاءَ الِورى مُنْجِداً وَالكُلُّ يَنْشُدُهُ * فِي فارِغِ الصَّبْرِ وَالإِسْلامِ فِي الوَطْرِ
 يَسْعَى وَمِصحفِهِ يُمَنِّى وَصارِمِهِ * يُسْرَى وَغايَتِهِ الإِصْلاحَ فِي القُطْرِ

١ الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان فودي (١١٦٨هـ/١٧٤٤ - ١٨١٧م رحمه الله) هو زعيم حركة الإصلاح الإسلامي في إقليم ما كان يعرف سابقا بالسودان الغربي، وهو إقليم يضم اليوم عددا من الدول في غرب إفريقيا. وكان الشيخ قد أسس دولة ذات مرجعية إسلامية عرفت في تاريخ المنطقة بدولة صكتو، وكانت تضم المناطق التي تشمل اليوم نيجيريا والنيجر وأجزاء من مالي والكامرون وتشاد وبنين، وعاصمتها مدينة صكتو الواقعة حاليا في شمال دولة نيجيريا.

أَوْفَى وَأَفَاتُ دِينَ شَاخٍ شَاخِصُهَا * شَابَ الْكَبِيرُ عَلَيْهَا شَبَّ ذُو الصِّغَرِ
 فَاسْتَأْصَلَ الْكُفْرَ لَمْ تَأْخُذْهُ رَأْفَتُهُ * لِمَالَهُ مِنْ عَظِيمِ الشَّرِّ وَالْخَطَرِ
 وَأَوْجَعَ الْجَهْلَ ضَرْبًا قَاسِيًا فَقَضَى * إِذْ أَنْتَهَ مَائِلٌ لِلْكَفْرِ فِي الضَّرْرِ
 وَاجْتَثَّ مُبْتَدَعَاتٍ أَعْرَقَتْ زَمَنًا فَصَقَلَ الدِّينَ * فِي الْأَرْضِ وَاعْتَمَسَ الْمَسْنُونُ فِي الزَّمْرِ فَارْتَدَّ
 مِنْ رِيْنِ أَلَمٍ بِهِ * صَفُؤًا وَسِيَمِ الْوَجْهِ كَالْقَمَرِ
 نَالَتْ بِهِ السَّنَةُ الْغُرَاءَ عَافِيَةً * بَعْدَ الدُّبُولِ فَقَدَ آلتُ إِلَى النَّضْرِ
 وَأَنْهَارَتْ الْبَدْعَةَ الشَّنْعَاءَ فِي السَّفْلِ * بَعْدَ الْعُلُوفِ فَقَدَ صَارَتْ إِلَى الْقَعْرِ
 قَادَ الْجَحَافِلَ فِي الْبِلَادِ مَنْتَصِرًا * عَلَى الطَّوَاغِيَتِ فِيهَا أَيُّ مُنْتَصِرِ
 مَنْ كَبَّدَ الْبَغْيَ وَالطَّغْيَانَ فَادْحَةً * مِنَ الْخَسَائِرِ فَوْقَ الْعَدِّ وَالْحَصَرِ
 وَالْجَوْرُ أَوْجَرُهُ رَمَحًا فَأَعْدَمَهُ * حَتَّى السَّرَاحِينَ فِي الْغَابَاتِ لَمْ تَجْرِ
 فِي عَهْدِهِ وُلِدَتْ لِلدِّينِ دَوْلَتُهُ * بِكْرًا وَمِنْ ثَمَّ دَقَّتْ سَاعَةُ الصِّفْرِ
 شَرِيعَةَ اللَّهِ تَزَوِي تَرْبَةَ الْوَطَنِ * وَدَوْحَةَ الْعَدْلِ تَرْمِي النَّاسَ بِالثَّمْرِ
 أَفْنَانُهَا انْبَثَقَتْ فِي الْمَطَرِ بَاسِقَةً * يَأْوِي إِلَى ظِلِّهَا مَنْ فَرَّ مِنْ سَعْرِ
 * * * * *
 يَا شِعْرُ ذِكْرِ بَنِي السُّودَانَ بِالْعَلَمِ * عَلَامَةَ الْقُطْرِ عَبْدِ اللَّهِ ذِي الْأَثَرِ
 شَيْخِ الشَّيْخِ إِمَامِ الرَّهْدِ وَالْأَدَبِ * بَحْرُ الْعُلُومِ وَسَيْفُ الدِّينِ ذُو الظَّفَرِ
 وَزَيْرُ عُثْمَانَ فُودِي حَبِيرُ دَعْوَتِهِ * وَحَرْبُ فَيْلَقِهِ الْقِمَاعُ لِلْكَؤْمَرِ
 وَزَارَتَا الْحَرْبَ وَالتَّعْلِيمَ فِي يَدِهِ * يَغْزَوُ يُعَلِّمُ حَتَّى مَنْتَهَى الْعُمْرِ
 مَجَاهِدٌ صَاحِبَاهُ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ * بِالسَّطْوِ يَقْمَعُ طَغْيَانًا وَبِالسَّطْرِ
 ضِدَانٍ: بَرْدٌ وَحَرٌّ عِنْدَهُ اجْتَمَعَا * فِي السَّلْمِ بَرْدٌ وَفِي الْهَيْجَا كَمُسْتَعِيرِ

أوجره: أوجره الرمح أو به: طعنه به في فيه^١

عبد الله بن محمد بن عثمان فودي (١١٨٠هـ/١٧٦٦م رحمه الله) هو الأخ الأصغر والشقيق للشيخ عثمان بن فودي ووزيره في^٤
 التربية والتعليم والدعوة والجهاد، العالم الورع الملقب بعلامة السودان له شتى المواضع والمجالات العلمية تزيد على المائة.
 فيلقه: الفيلق الكتبية العظيمة من الجيش. الكُفْر: بضم الكاف والفاء: جمع كفور. ^٥

- يومُ السَّلامِ أليفُ كالحَمَامِ وفي * يوم العِراكِ أليمُ الكِرِّ كالصَّقَرِ
 في السِّلمِ سهلٌ بشوشٌ سالمٌ أنسٌ أعطى * وفي الوغى صعبٌ جهنمٌ كمهتصره
 مُجِدِّدٌ دينَ اللهِ نُصْرَتَهُ * مُشَمِّراً معه في العُسْرِ واليُسْرِ
 بالتَّفَسِّسِ وازره والسَّيفِ والقلمِ * على كفاحِ جيوشِ الجهلِ والبطرِ
 فأمَحَقَّا دولةَ الطَّغيانِ والوثنِ * دكَّا علمها وما عانتُ على العفرِ
 وشيِّدا دولةً للعلمِ والأدبِ * وكادتِ الضَّادُ تَعْدُو لهجةَ الزَّمْرِ الجَهْلِ مات
 أجاهليَّةً باادتُ بانتصارهما * وولَّى الكفرِ عن دُبُرِ
 وَالظُّلْمِ دَوْلَتُهُ دالتُ به فعدتُ * في الأرضِ مُجْتَثَّةً صارتُ بلا أئرِ
 والسِّلمِ دوحته داختُ مُظَلَّلَةً * فيحَاءِ راسيةَ العَرْقَاةِ والجَنَدْرِ
 في صُكُوتِ اجزَعِها أغصانها ضَرَبَتْ * شرقاً وغرباً تجوُّدُ الخلقِ بالثَّمْرِ
 فَرَفَرَفَتْ رايةُ التوحيدِ راقصةً * في قِمَّةِ العُلُوِّ كانتُ قبلُ في القعرِ
 ظَلَّتْ شِعَارَ الوَزِيِّ في القُطْرِ خافقةً * تحكي هُويَّتِنَا في الرُّوحِ والفِكرِ
 حتَّى إذا ما أتى بالحقدِ والطمعِ * والكيدِ في أرضنا مُسْتَحْمِرُ البشرِ
 أبُو الحَوَانِيَتِ والثَّالُوثِ والصُّلْبِ * أتى ليرعى بِنَى التوحيدِ في القُطْرِ
 بالمُدْفَعِيَّةِ والصَّارُوخِ في زَحْفِ * أتى يُسَوِّي بِنَى الأمجادِ بالعَفْرِ
 فاجتاحتُ دولتنا وأختطَّ رايَتُنَا * واستاقنا كقطيعِ الحُمُرِ والبَقْرِ
 فأصبحتُ في اتِّجاهِ الغربِ قبِلتُنَا * إيَّاه نَزْمُقُ بَدَلُ الشَّرْقِ بالنَّظْرِ
 قد رَدَدْنَا أُمَّةً بعدَ العُلا أُمَّةً * ألعى هُويَّتِنَا بالَحَظْرِ والهَدْرِ
 أودى بتاريخنا واحتلَّ حاضرنا * أرْمَى حضارتنا في المتحفِ الأثريِ
 يا شِعْرُ قِفْ هاهنا لا تَمُضِ وارثُ لها * ورائدِها مَدَى الأبادِ لا تَنَدْرِ

صكتو: مدينة صكتو هي عاصمة الدولة العثمانية التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر^١

الميلادي وكانت تضم المناطق التي تشمل اليوم نيجيريا والنيجر وأجزاء من مالي والكامرون وتشاد وبنين، تقع المدينة في شمال دولة نيجيريا حالياً. سقطت مدينة صكتو في أيدي القوات البريطانية عام ١٩٠٣ نتيجة الغزو البريطاني والفرنسي الكاسح للمنطقة، مما أدى إلى انخيار الدولة بالكامل وتم اقتسام مناطق نفوذها بين إنجلترا وفرنسا.

عِدِّدْ ثِقَافَتَنَا يَا شِعْرَ وَابْنِكَ عَلِي * أَمْجَادِهَا أَبَدًا بِالنُّوحِ وَالْعَبْرِ
مَجْدِ الْجُدُودِ جَدِيرٌ بِالدُّمُوعِ فَجِدْ * جِدًّا بِهَا أَوْ نَرَى رُجْعَاهُ بِالْبَصْرِ
وَاصْنُحْ لِمَسِيئِهِ وَسِيرْ قُلْ: لَا خُضُوعَ فَلَنْ * أَرْضَى بِأَرْضِي بِتَغْرِيْبِ مَدَى عُمُرِي
هَمَّاتٌ تَنْسَى قِوَا فِي صَفْقَةٍ لَكُمْ * مَرْدُودُهَا مُسْتَطِيزُ الشَّرِّ وَالشَّرِّ
"فَرَّقْ تَسُدُّ" يَا لَهَا مِنْ فَعْلَةٍ! شَوِّمَتْ^١ * عَلَى الْوَرَى أَهْجُوهَا آخِرَ الدَّهْرِ

كـمـهـتـصـر: المـهـتـصـر: الأـسـد؛

شأم عليهم: جر عليهم الشؤم^١